الحلاج

ولد الحسين بن منصور المعروف بالحلاج في بلدة صغيرة تدعى البيضاء قرب شواطىء الخليج العربي الشرقية سنة858 م وتوفي مضروبا بالسياط سنة 922م

الحلاج

858 – 922 م

ولد الحسين بن منصور المعروف بالحلاج في بلدة صغيرة تدعى البيضاء غير بعيدة عن شواطىء خليج فارس الشرقية. تتلمذ في الزهد والتصوف على يد اربعة من كبار المتصوفين هم : المكي (ت 909م) والتستري (ت989 م) والشبلي (ت 945 م) والجنيد . والراجح ان الجنيد هو الذي اقنعه بلبس الصوف وظل مرشده لمدة عشرين عاماً .

تميز الحلاج بغرابة مزاجه وغلوه حتى ان مرشده الجنيد انفصل عنه لما بدا له من تعاليه وغطرسته . ويُذكر ان الحلاج أقام في أثناء حجه الاول لسنة كاملة في ردهة المسجد لا يفارقها . وكان اذا خرج أثناء الظهيرة يجلس على صخرة والعرق يتصبب منه مما حمل بعض الناس هناك على وصف تصرفه هذا بأن الحلاج كان يحاول أن يتحدى الله بقدرته وجلده . وذكر أحد تلاميذه أن الحلاج لم يكن ينام مضطجعاً بل واقفاً ، وربما جلس القرفصاء من وقت الى آخر لمدة لا تزيد عن ساعة واحدة .

قيل إنه لما عاد الى بغداد بعد حجه الاول لزم مرشده الجنيد مرة اخرى وقد عنَّفه هذا الاخير على سؤ فهمه لطبيعة " السكر " الصوفي ووبخه على إغفاله للكتاب الكريم ولاداء الفرائض وبصورة خاصة على إدعائه بأنه الله ...

بعد خلافه مع الجنيد بدأ الحلاج يبتعد عن النظام الصوفي المعروف ، ففارق حياة العزلة ورسم لنفسه خطة من الوعظ والارشاد في المجتمع كانت محفوفة بالمحاذير . فقد إختلط بشتى أنواع الناس من فلاسفة مثل الرازي والامراء مثل أمير طالقان وأقر بانواع من العقائد حيَرت معاصريه وزادت في صفوف خصومه مثل إكرامه لذكرى الامام محمد بن حنبل خصم المعتزلة الأكبر، وانضم في بعض مراحل نشاطه الى الدعوة الشيعية او العلوية .

بعد عودته من حجه الثالث الى بغداد بدت على الحلاج تبدلات وتغيرات . وكانت السمة البارزة في هذا التغيير المزيد من الوضوح والرسوخ في شعوره بالاتحاد بالله واصبحت ، كما إدعى ، تربطه به رابطة شخصية حميمة . .. وسمَى الحلاج هذا الترابط بين الانا والأنت "عين الجمع" . وهذا الاتحاد ، كما رآه الحلاج لا يستتبع فناء الذات الكلي ، بل تساميها واتصالها الحميم بالمحبوب الحقيقي .

طاف الحلاج البلدان داعيًا الى الزهد . فجال في فارس والهند وما وراء النهر ومكة واستقر في بغداد . واختلف الناس في كل هذه البلدان في رأيهم فيه . فكان بالنسبة لبعضهم "المخلّص" واعتبره آخرون من الأتقياء وأصحاب الكرامات ، بينما اعتبره الكثيرون دجالاً وملحداً يستحق الموت .

أقام عليه الوزير علي بن الفرات سنة 909 م دعوى شرعية . لكنه لم يعتقل الا بعد اربع سنوات. وتم ذلك في بغداد حيث عين مجلس قضاء خاص لمحاكمته ، فاتهم بأنه عميل للقرامطة والقي في السجن تسع سنوات . على أن التهمة الاخيرة التي وجهت اليه وقضت بموته فقد كانت الزندقة والتجديف والقول بالحلول وإدعاء الالوهية . وعندما جوبه الحلاج بما يتصل بالالوهية دافع عن نفسه بقوله إن مثل هذا الكلام يتفق مع مفهوم " عين الجمع " ، وهي حالة صوفية ينطق فيها الله بلسان المتصوف او يكتب بيده . وما المتصوف في هذه الحالة الا اداة بيد الله . لكن اخصامه ، ولا سيما الوزير حامد ، رفضوا هذه الحذلقة . ومع ان الخليفة كان قد أمر بجلده وحز رأسه إلا ان الوزير أمر بجلده والتمثيل به وصلبه وحز رأسه ثم بحرقه وذر رماده فوق دجلة .

ترك الحلاج كتبا عديدة لم يبق منها الا " كتاب الطواسين " في شرح مذهبه .

وورد في "وفيات الأعيان" لابن خلكان: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور؛ هو من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، ونشأ بواسط والعراق، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره، والناس في أمره مختلفون: فمنهم من يبالغ في تعظيمه،

ومنهم من يكفر. ورأيت في كتاب "مسكاة الأنوار" تأليف أبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله، وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله "أنا الحق" وقوله "ما في الجبة إلا الله" وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها وحملها كلها على محامل حسنة، وأولها، وقال: هذا من فرط المحبة وشدة الوجد، وجعل هذا مثل قول القائل:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بـدنـا

فإذا أبصرتني أبصـرتـه وإذا أبصرته أبصرتـنـا

وكان ابتداء حاله على ما ذكره عز الدين ابن الأثير في تاريخه أنه كان يظهر الزهد والتصوف والكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده إلى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب: قل هو الله أحد، ويسميها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون في بيوتهم، ويتكلم بما في ضمائر الناس، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول؛ وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح عليه السلام، فمن قائل إنه حل فيه جزء إلهي ويدعي فيه الربوبية، ومن قائل إنه ولي الله تعالى وأن الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين، ومن قائل أنه ممخرق ومستغش وشاعر كذاب ومتكهن والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها.

وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة في الحجر لا يستظل تحت سقف شتاء ولا صيفاً، وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء أحضر له الخادم كوز ماء وقرصاً فيشربه ويعض من القرص ثلاث عضات من جوانبه ويترك الباقي ولا يأكل شيئاً آخر النهار. وكان شيخ الصوفية بمكة عبد الله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل قد صعد إلى جبل أبي قبيس، فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوف الرأس والعرق يجري منه إلى الأرض، فاخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال: هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته؛ وعاد الحسين إلى بغداد. انتهى كلام ابن الأثير.

وكان في سنة 299 ادعى للناس أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس، وانتشر له في الحاشية ذكر عظيم، ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية، فبعث به المقتدر إلى عيسى ليناظره، فأحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة، فحكي انه تقدم إليه وقال له فيما بينه وبينه: قف من حيث انتهيت ولا تزد علي شيئاً وإلا خسفت الأرض من تحتك، وكلاماً في هذا المعنى، فتهيب عيسى مناظرته واستعفى منها فنقل في سنة 309 إلى حامد بن العباس الوزير، فحدث غلام لحامد كان موكلاً بالحلاج قال: دخلت عليه يوماً ومعي الطبق الذي عادتي أن أقدمه إليه كل يوم، فوجدته قد ملأ البيت بنفسه وهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه ليس فيه موضع، فهالني ما رأيت منه ورميت الطبق من يدي وهربت؛ وحم هذا الغلام من هول ما رأى وبقي مدة محموماً، فكذبه حامد وشتمه وقال: ابعد عني؛ وكان دخوله إلى بغداد مشهراً على جمل وحبس في دار المقتدر، وأفتى العلماء بإباحة دمه.

وكان الحلاج قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل ووافقه على حيلة يعملها، فخرج الرجل فأقام عندهم سنتين يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم، فغلب على البلد حتى إذا تمكن أظهر أنه عمي فكان يقاد إلى مسجده ويتعامى في كل أحد شهوراً، ثم أظهر أنه زمن فكان يحبو ويحمل إلى المسجد النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول أنه يطرق هذا البلد عبد صالح مجاب الدعوة تكون عافيتك على يديه ودعائه، فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء أو من الصوفية لعل الله تعالى أن يفرج عني، فتعلقت النفوس لورود العبد الصالح، ومضى الجل الذي بينه وبين الحلاج فقدم البلد ولبس الثياب الصوف الرقاق وتفرد في الجامع فقال الأعمى: احملوني إليه، فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له: يا عبد الله رأيت في النوم كذا وكذا فادع الله تعالى لي، فقال: ومن أنا وما تحكي؟ ثم دعا له ومسح يده عليه فقام مبصراً صحيحاً، فانقلب البلد وكثر الناس على الحلاج، فتركهم وخرج من البلد وأقام المتعافي المبرأ مما فيه شهوراً ثم قال لهم: إن من حق الله عندي ورده جوارحي علي أن أنفرد بالعبادة انفراداً أكثر من هذا، وان يكون مقامي في الغز، وقد عملت على الخروج إلى طرسوس، فمن كانت له حاجة يحملها، فأخرج هذا ألف درهم وقال: اغز بهذه عني، واخرج هذا مائة دينار وقال: اخرج بها غزاة من هناك، وأعطاه كل أحد شيئاً فاجتمع له ألوف دنانير ودراهم، فلحق بالحلاج وقاسمه عليها. وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر وقد قرئ عليه رقعة بخطه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد في داره شيئاً لا يلحقه نجاسة ولا يدخله أحد ومنع من يطرقه فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافه بالبيت الحرام، فإذا انقضى ذلك وقضى من المناسك ما يقضي بمكة مثله جمع ثلاثين يتيماً وعمل لهم ما يمكنه من الطعام وأحضرهم إلى ذلك البيت وقدم إليهم ذلك الطعام

وتولى خدمتهم بنفسه، فإذا أكلوا وغسلوا أيديهم كسا كل واحد منهم قميصاً ودفع إليه سبة دراهم أو ثلاثة، فإذا فعل ذلك قام له قيام الحج، فلما فرغ منها التفت إليه أبو عمر القاضي وقال له: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب "الإخلاص" للحسن البصري، فقال له أبو عمر: كذبت يا حلاج، اللهم قد سمعنا كتاب "الإخلاص" للحسن بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت الخ.

ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله:

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت، ولا لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن

وقوله أيضاً على هذا الاصطلاح:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالمـاء

وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وينبني على هذا الأسلوب.

وقال أبو بكر ابن ثواية القصري: سمعت الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول:

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا

والبيت الذي قبل قوله:

لا كنت إن كنـت أدري...

أرسلت تسأل عني كيف كنت وما لاقيت بعدك من هم ومن حزن

وقيل: إن بعضهم كتب إلى أبي القاسم سمنون بن حمزة الزاهد يسأله عن حاله، فكتب إليه هذين البيتين، والله أعلم.

وبالجملة فحديثه طويل وقصته مشهورة والله يتولى السرائر.

وكان جده مجوسياً وصحب هو أبا القاسم الجنيد ومن في طبقته، وأفتى أكثر علماء عصرة بإباحة دمه.

ويقال: إن أبا العباس ابن سريج كان إذا سئل عنه يقول: هذا رجل خفي عني حاله، وما أقول فيه شيئاً. وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير الإمام المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر، فأفتى بحل دمه وكتب خطه بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء، فقال لهم الحلاج: ظهري حمى ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا علي بما يبيحه، وأنا اعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي، ولم ينزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا من المجلس، وحمل الحلاج إلى السجن.

وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى، فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله فليسلم إلى صاحب الشرطة، وليتقدم إليه بضربه ألف سوط، فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى؛ ثم تضرب عنقه، فسلمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقتدر، وقال: إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحز رقبته وتحرق جثته، وإن خدعك وقال لك: أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة، فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه، فتسلمه الشرطي ليلاً، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين، وقيل لست بقين من ذي القعدة، سنة تسع وثلثمائة، فأخرجه عند باب الطاق، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم، وضربه الجلاد ألف سوط، ولم يتأوه بل قال للشرطي لما بلغ

ستمائة: ادع بي إليك، فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية، فقال له: قد قيل لي عنك إنك تقول هذا واكثر منه وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل، فلما فرغ ضربه قطع أطرافه الأربعة، ثم حز رأسه وأحرق جثته، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة، ونصب الرأس ببغداد على الجسر، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً.

واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة زيادة وافرة، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها. وادعى بعض أصحابه أنه لم يقتل، وإنما ألقى شبهه على عدو له. وادعى بعضهم أنه رآه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من الحال التي جرت عليه وهو راكب على حمار في طريق النهروان وقال لهم: لعلكم مثل هؤلاء النفر الذين ظنوا أني هو المضروب والمقتول؛ ومن شعره المنسوب إليه:

متى سهرت عيني لغيرك أو بكت فلا بلغت ما أملت وتمنت

وإن أضمرت نفسي سواك فلا رعت بأرض المنى من وجنتيك وجنت

وشرح حاله فيه طول، وفيما ذكرناه كفاية.

والحلاج: بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها ألف ثم جيم. وإنما لقب بذلك لأنه جلس على حانوت حلاج واستقضاه شغلاً، فقال الحلاج: أنا مشتغل بالحلج، فقال له: امض في شغلي حتى أحلج عنك، فمضى الحلاج وتركه، فلما عاد رأى قطنه جميعه محلوجاً. وقيل إنه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه على الأسرار ويخبر عنها، فسمي بذلك حلاج الأسرار.

والبيضاء: بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الضاد المعجمة وبعدها همزة ممدودة.

الديوان

(مختارات)

سبحان من اظهر ناسوتُهُ

سّر سنا لاهوتِه الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهراً

في صورة الآكل و الشارب

حتّى لقد عَايَنَهُ خَلْقُه

كلحْظِة الحاجب بالحاجب

***

كتبتُ ولم أكْتبْ إليك و إنّما

كتبتُ على روحي بغير كتابِ

و ذلك أنّ الروح لا فرق بينها

و بين مُحِبيّها بفَصْل خطابِ

أُريدُك لا أريدك للثواب

و لكنّي أريدك للعقاب

فكلّ مآربي قد نِلْتُ منها

سوى ملذوذِ وجدي بالعَذاب

فكلّ مآربي قد نِلْتُ منها

سوى ملذوذِ وجدي بالعَذاب

***

***

كَفَى حَزَناً أنّي أُناديك دائما

كأنّي بعيدٌ أو كأنّك غائب

***

***

و أطْلُبُ منك الفضل من غير رغبةٍ

فلم أر قبلي زاهدا فيك راغب

كَفَى حَزَناً أنّي أُناديك دائما

كأنّي بعيدٌ أو كأنّك غائب

و أطْلُبُ منك الفضل من غير رغبةٍ

فلم أر قبلي زاهدا فيك راغب

****

طَلَعَتْ شمس من أحبّ بليّلٍ فـ

ـاستنارت فما عليها من غروب

عن شمس النهار تطلع باليلـ

ـل وشمس القلوب ليس تغيب

***

***

رأيتُ ربّي بعين قلبِ

فقلتُ من أنت قال أنت

فليس للأين منك أينٌ

و ليس أين بحيثُ أنت

و ليس للوهم منك وهمٌ

فيعلم الوهم أين أنت

أنت الذي حُزْتَ كل أين

بنحو لا أينَ فأينَ أنت

و في فنائي فنا فنائي

و في فنائي وجدت أنت

***

***

لي حبيبٌ أزور في الخلوات

حاضر غائب عن اللحظات

ما تراني أصغي إليه بسمع

كي أعي ما يقول من كلمات

كلمات من غير شكل ولا نطق

و لا مثل نغمة الأصوات

فكأنّي مخاطب كنت إيَّاه

على خاطري بذاتي لذاتي

حاضر غائب قريب بعيدٌ

وهو لم تحوه رسوم الصفات

هو أدل من الضمير إلى الوهم

و أخفى من لائح الخطرات

***

***

سرّ السرائر مَطْوِيٌّ بِاثْبَات

في جانب الأفْقِ من نور بطيَّات

فكيف والكيف معروف بظاهره

فالغيب باطنه للذاتِ بالذات

تَاهَ الخلائقُ في عمياءَ مظلمةٍ

قصدا و لم يعرفوا غير الإشارات

بالظنّ و الوهم نحو الحقّ مطلبهم

نحوَ الهواء يناجون السماوات

و الربّ بينهم في كل منقلب

مُحِلَّ حالاتهم في كل ساعات

و ما خلوا منه طرف عين لو علموا

و ما خلا منهم في كل أوقات

***

فما لي بُعْدٌ بَعْدَ بُعْدِكَ بَعْدَما

تَيَقَّنْتُ أنّ القرب والبُعد واحد

وإنّي وإن أُهْجِرتُ فَالهَجْرُ صاحبي

وكيف يصحّ الهجر والحُبّ واجد

لك الحمد في التوفيق في محضِ خالصٍ

لعبدٍ زكّيٍ ما لغيرك ساجد

***

***

لا تَلمنّي فاللوم منّي بعيد

وأجِرْ سيّدي فإنّي وحيد

إنّ في الوعد وَعْدك الحقّ حقاً

إنّ في البدء بدء أمري شديد

مَن أراد الكتاب هذا خطابي

فاقرؤُا وأعلموا بأنّي شهيد

***

***

قد تصبّرتُ و هل يصـ

ـبرُ قلبي عن فؤادي

مازجَتْ روحُك روحي

في دنّو وبعادي

فأنا أنت كما أنّ

ـك أنّي و مرادي

***

***

أنتم ملكتم فؤادي

فهمْت في كلّ وادي

ودقّ على فؤادي

فقد عدمت رقادي

أنا غريبا وحيدا

بكم يطول إنفرادي

***

حقيقة الحقّ مُسْتنِيَر

صارخه بالنبا خبير

حقيقة الحقّ ِقد تجلّتْ

مَطْلب من رامها عسير

***

***

أنت المُوَلِّهُ لي لا الذكر ولّهني

حاشا لقلبي أنْ يَعْلق به ذِكَرى

الذكر واسطةٌ تُخْفِيك عن نظري

إذا توشَّحَهُ من خاطري فكري

***

***

مواجِيدُ حَقّ ٍأوْجَدَ الحقُّ كُلَّها

و إنْ عجزَتْ عنْها فهوم الاكابر

وما الوجد إلا خطرة ثم نظرة

تُنَشّي لهيبا بين تلك السرائر

إذا سكن الحقُّ السريرةَ ضُوعفتْ

ثلاثة أحوال لأهل البصائر

فحالٌ تُبيدُ السرَّ عن كنْه ِوجِدِه

وتُحْضِرُهُ بالوجد في حال حائر

و حالٌ به زُمَّتْ قوى السرّ فآنْثنَتْ

إلى مُنْظِرٍ أفناه عن كلّ ناظر

***

***

الاحتمال الأول

إذا بلغ الصبُّ الكمال من الفَتَى

ويذهل عن وصل الحبيب من السُّكر

فيشهد صدْقاً حيث أشهده الهوى

بأنّ صلاة العاشقين من الكفر

\- - - -

الاحتمال الثاني

إذا بلغ الصبُّ الكمال من الهوى

وغاب عن المذكور في سطوة الذكر

فشاهد حقاً حين يشهده الهوى

بأنّ صلاة العارفين من الكفر

مُعَلّقُ الوَحي في مشكاة تأمور

بالله يُنْفَخُ نَفْخ الروح في جَلَدِي

بخاطري نَفْخَ اسرافيلَ في الصور

إذا تجلّى لطوري أن يُكَلّمني

رَأَيْتُ في غيبتي موسى على الطور

***

***

لأنوار نور الدين في الخلق أنوارُ

و للسرّ في سرّ المسرّين أسرار

وللكون في الأكوان كون مُكَوّن

يكنُّ له قلبي و يهدي و يختار

تأمّلْ بعين العقل ما أنا واصف

فللعقل ِأسماع وُعَاة و أبصار

***

***

سكنتَ قلبي و فيه منك أسرار

فليَهْنِك الدار بلْ فليهنك الجارُ

ما فيه غيرك من سرٍّ عَلِمْتُ به

فأنْظُرْ بعينك هل في الدار ديّار

و ليلة الهجر ِإنْ طالتْ و إن قَصُرَتْ

فمؤنسي أملٌ فيه وتذكار

إنّي لراضٍ بما يرضيك من تلفي يا قاتلي و لِمَا تختار اختار

***

***

الحبّ ما دام مكتوماً على خطرِ

وغاية الأمْنِ أن تدنو من الحذر

و أطيب الحبّ ما نمّ الحديث به

كالنار لا تأتِ نفعاً و هي في الحجر

من بعْدِ ما حضر السحاب و اجتمعا

الأعوانُ و امتطٌ أسمى صاحب الخبر

أرجُو لنفسي براء من محبّتكم

إذا تبرّأت من سَمعي ومن بصري

غِبْتَ و ما غبتَ عن ضميري

و صرْتَ فرحتي و سروري

وانفصل الفصل بافتراق

فصار في غيبتي حضوري

فأنت في سرّ غيبِ همّي

أخفى من الوهم في ضميري

تؤنسني بالنهار حقاً

وأنت عند الدجى سميري

***

***

يا شمس يا بدر يا نهار

أنت لنا جنّة و نار

تَجنُّبُ الإثِم فيك ثم إثمٌ

وخاصّية العار فيك عار

يخلعُ فيك العذار قومٌ

وكيف من لا له عذار

***

***

أحرف أربع بها هام قلبي

و تلاشت بها همومي و فكري

ألِفٌ تألف الخلائق بالصدْـ

ـعِ ولامٌ على الملامة تجري

ثمّ لامٌ زيادة في المعاني

ثمَّ هاءٌ أهيمُ بها أتدري

***

***

و

لماذا رفض الشيطان السجود لآدم

الاحتمال الأول

جحودي فيك تقديس

و عقلي فيك تهويس

و ما آدم إلاك

و من في البين إبليس

الاحتمال الثاني

جُنُوني لك تقديس

و ظنّي فيك تهويس

و قد حيّرني حِبٌّ

وطرْفٌ فيه تقويس

و قد دلّ دليل الحُبّ

أن القرب تَلْبيس

فمن آدم إلاك

ومن في البين إبليس

***

***

حويتُ بكُلّي كلّ حُبّك يا قُدْسي

تكاشفني حتّى كأنّك في نفسي

أُقلّب قلبي في سواك فلا أرى

سوى وحشتي منه و منك به أُنْسي

فها أنا في حَبس الحياة مجمَّع

من الأنس فاقبضْني إليك من الحبْس

***

***

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت

إلا و حبّك مقرون بأنفاسي

ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهم

إلا و أنت حديثي بين جلاسي

ولا ذكرتك محزوناً و لا فَرحا

إلا و أنت بقلبي بين وسواسي

ولا هممت بشرب الماء من عطش

إلا رَأيْتُ خيالاً منك في الكأس

ولو قدرتُ على الإتيان جئتُكم

سعياً على الوجه أو مشياً على الرأس

ويا فتى الحيّ إن غنّيت لي طربا

فغنّني وأسفا من قلبك القاسي

ما لي وللناس كم يلحونني سفها

ديني لنفسي ودين الناس للناس

***

***

يا نسيم الروح قولي للرشا

لم يزدني الوِرْد إلا عطشا

لي حبيبٌ حبّه وسط الحشا

إن يشا يمشي على خدّي مشا

روحه روحي وروحي روحه

إن يشا شئتُ وإن شئتُ يشا

***

***

عجبتُ لكلّي كيف يحمله بعضي

ومن ثقل بعضي ليس تحملني أرضي

لئن كان في بسط من الأرض مَضْجَعٌ

فبعضي على بسط من الأرض في قبضي

***

***

ما زلتُ أطفو في بحار الهوى

يرفعني المَوْجُ و انحطُّ

فتارةً يرفعني مَوْجُها

وتارة أهوى وانغطُّ

حتّى إذا صيَّرني في الهوى

إلى مكان ما له شطّ

ناديتُ يا من لم أبُح باسمه

ولم أخُنْهُ في الهوى قطّ

تقيك نفسي السُّوء من حاكم

ما كان هذا بيننا شرط

***

***

مكانُك من قلبي هو القلب كلّه

فليس لخلقٍ في مكانك موضع

وحَطَّتْك روحي بين جلدي وأعظامي

فكيف تراني إن فقدتك اصنع

***

***

إذا ذكرتك كاد الشوق يقلقني

وغفلتي عنك أحزانٌ وأوجاع

وصار كلّي قلوباً فيك داعية

للسقم فيها وللآلام إسراع

***

***

نديمي غير منسوبٍ

إلى شيءٍ من الحيف

سقاني مثلما يشرب

كفعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس

دعا بالنطع و السيف

كذا من يشرب الراح

مع التِّنين في الصيف

***

***

صَيَّرني الحقّ بالحقيقة

بالعهد والعقد والوثيقة

شَاهَدَ سرّي بلا ضميري

هذاك سرّي وذا الطريقة

***

***

وَحِّدْنِي واحدي بتوحيد صِدْقٍ

ما إليه من المسالك طرقُ

أنا الحقُّ و الحقُّ للحقّ حقٌّ

لأبسٌ ذاتَهُ فما ثمّ فَرْقُ

قد تَجَلّتْ طوالعٌ زاهراتٌ

يتشعشعْنَ في لوامع بَرْق

***

***

ركوبُ الحقيقة للحقّ حقٌّ

ومعنى العبارة فيه تدقّ

رَكِبْتُ الوجودَ بعين الوجودِ

وقلبي على قسوةٍ لا يَرِقّ

***

***

جبلتْ روحك في روحي كما

تجبل العنبر بالمسك الفتقْ

فإذا مسَّك شيءٌ مسَّني

فإذاً أنت أنا لا نفترقْ

***

***

دَخَلْتَ بناسوتي لديك على الخلق

ولولاك لاهوتِي خَرجْتُ من الصِدْق

فإنّ لسان العلم للنطق و الهدى

وإنّ لسان الغيب جلّ عن النطق

ظهرتَ لقومٍ والتبستَ لفتيةٍ

فتاهوا وضلّوا واحتجبتَ عن الخلق

فتظهر للألباب في الغرب تارةً

وطورا على الألباب تغرب في الشرق

***

***

فيك معنى يدعو النفوسَ إليك

ودليل يدلّ منك عليْك

لِيَ قلبٌ له إليك عيونٌ

ناظراتٌ وكلُّهُ في يدَيْك

***

***

هّمي به ولّه عليك

يا من إشارتنا إليك

روحان ضمهما الهَوَى

فيمِدْحَتِك وفي لديك

***

***

دُنْيَا تُخَادِعُنِي كأنّي

لستُ أعرف حالها

ذمّ الإلهُ حرامها

وأنا اجتنبت حلالها

مدَّتْ إلىَّ يمينها

فرددْتها وشمالها

ورايتُها محتاجة

فوهبتُ جملتها لها

ومتى عرفت وصالها

حتّى أخاف ملالها

***

***

عليك يا نفس بالتسلّي

العزّ بالزهد و التخلّي

عليك بالطلْعة التي

مشكاتها الكشف و التجلّي

قد قام بعضي ببعض بعضي

و هام كلي بكلّ كلي

***

***

مُزجت روحك في روحي كما

تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسَّك شيء مسّني

فإذاً أنت أنا في كلّ حال

***

***

نِعْمَ الإِعَانَةٌ رَمْزٌ في خفا لُطُف

في بارقٍ لاحَ فيها من حُلى خِلِهْ

والحال يرمقني طوراً وأرْمُقُهُ

إن شا يغشى على الإخوان من قُلِهْ

حال إليه رأى به فيه بهمّته

عن فيض بحرٍ من التمويه من مِلِهْ

فالكلّ يشهده كُلّاً وأشهده

مع الحقيقة لا بالشخص من طللهْ

***

***

ثلاثة أحرف لا عُجْمَ فيها

ومعجومانِ وانقطع الكلام

فمعجومٌ يشاكل واجديهِ

ومتروكٌ يُصَدّقُهُ الأنام

وباقي الحَرْفِ مرموزٌ مُعَمَّى

فلا سفر ينال و لا مقام

***

***

تفكّرتُ في الأديان جدَّ تحقّقٍ

فألفيتها اصلاً له شُعَباً جمّا

فلا تَطْلُبَنْ للمرء ديناً فإنّه يُصَدُّ

عن الأصل الوثيق وإنّما

يطالبه اصلٌ يعبِّر عنده

جميعُ المعالي والمعاني فَيَفْهَمَا

***

***

يا لائمي في هواه كم تلوم فَلَوْ

عرَفْتَ منه الذي عنيت لم تَلُمِ

للناس حجّ ولي حجّ إلى سكني

تُهْدَى الأضاحي وأُهْدِي مُهْجَتِي وَدَمِي

تطوف بالبيت قومٌ لا بجارحةٍ

باللهِ طافوا فأغناهم عن الحَرَمِ

***

***

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه

ولاح صباحٌ كنت أنت ظلامه

وأنت حجاب القلب عن سرّ غيبه

ولولاك لم يطبع عليه خاتمه

***

***

صمديّ الروح ديّان عليم

عاد بالروح إلى أربابها

فبقي الهيكل في الترب رميم

***

***

قلبك شيء وفيه منك أسماء

لا النور يدري به كلّا ولا الظلم

ونور وجهك سرّ حين أشهده

هذا هو الجود والإحسان والكرم

فخُذْ حديثي حِبّي أنت تعلمه

لا اللوح يعلمه حقاً ولا القلم

***

***

آهٍ أنا أم أنْتَ؟ هَذَيْن ِإلهَيْن ِ

حاشاي حاشاي مِن إثبات أثنَيْن ِ

هويةٌ لك في لايئتي ابَداً

كلّي على الكلّ تلبيسٌ بوَجْهَيْن ِ

فَأيْنَ ذاتك عنّي حيث كنت أرى

فقد تَبَيّنَ ذاتي حيت لا أين

وأيْنَ وَجْهُك مقصود بناظرتّي

في ناظر القلب أم في ناظر العين

بَيْنِي وبَيْنك أنّيٌ يُزاحِمُنِي

فارفعْ بأنَّك أنّي مِن البين

***

***

ألا أبْلِغْ أحبّائي بأنّي

ركبتُ البحر وانكَسرَ السفينةْ

على دين الصليب يكون موتي

و لا البطحا أريد ولا المدينة

***

***

أنا مَن أهوى ومَن أهوى أنا

نحن روحان ِحَلّنا بدنا

فإذا أبصرتَني أبصرتَهُ

و إذا أبصرتَهُ أبصرتَنا

***

***

يا غافلاً لجهالةٍ عن شأني

هلّا عرفتَ حقيقتي وبياني

أعِبادة لِلّهِ ستّة أحرفٍ

مِن بينها حرفان معجومان

حرفان اصليّ وآخُر شَكّلُه

في العجم منسوب إلى إيماني

فإذا بدا رأس الحروف أمامها

حرفٌ يقوم مقام حرف ثان

أبصرتَني بمكان موسى قائما

في النور فوق الطور حين تراني

***

***

خاطَبنِي الحقّ من جناني

فكان علمي على لساني

قربّني منه بَعْدَ بُعْدٍ

وخصَّني الله و اصطفاني

***

***

كذا اجتباني وأدناني وشرّفني

والكلّ بالكلّ أوصاني وعرّفني

لم يبق في القلب والأحشاء جارحةٌ

إلّا وأعْرفه فيها ويعرفني

***

***

أنْتَ بين الشغاف والقلب تجري

مثل جري الدموع من أجفاني

وتُحِلُّ الضميرَ جوفَ فؤادي

كحلول الأرواح في الأبدان

ليس من ساكنٍ تَحَرَّكَ إلّا

أنت حَرَّكْتَهُ خَفَّي المكان

يا هلالاً بدا لأربع عشرٍ

لثمانٍ وأربعٍ و اثنان

***

***

حَمَّلْتَ بالقلب ما لا يحمل البَدَنُ

والقلب يحمل ما لا تحمل البُدُن

يا ليتني كنتُ أدنى من يلوذ بكم

عيناً لانظركم أم ليتني أُذن

***

***

بيَان بيان الحقّ أنت بيانه

وكل بيانٍ أنت منه لسانهُ

أشرتُ إلى حقّ بحقٍ وكل من

أشار إلى حقّ فأنْتَ أمانهُ

تشير بحقّ الحقّ والحق ناطقٌ

وكل لسانٍ قد أتاك أوانهُ

إذا كان نعْت الحقّ للحقّ بَيّناً

فما بالُهُ في الناس يَخْفَي مكانه

***

***

رقَيبَان ِمنّي شاهدَان ِلحُبّهِ

واثنان ِمنّي شاهدَان ِتراني

فما جال في سرّي لغيرك خاطر

ولا قال إلا في هواك لساني

فإنْ رُمْتُ شرقاً أنت في الشرق شرقهُ

وإن رمتُ غرباً أنت نصب عياني

وإن رمتُ فوقاً أنت في الفوق فوقه

وإن رمتُ تحتا أنت كل مكان

وأنت محلّ الكلّ بل لا محلّهُ

وأنت بكلّ الكلّ ليس بفان ِ

فقلبي وروحي والضمير وخاطري

وترداد أنفاسي وعقد جناني

***

***

أرجعْ إلى الله إنّ الغاية الله

فلا إلهَ إذا بالعْتَ إلّا هو

وإنّه لمَعَ الخَلْق الذين لهم

في الميم والعين والتقديس معناه

معناه في شفَتي من حلّ معتقداً

عن التهجّي إلى خلقٍ له فاهوا

فإنْ تشكّ فدِبّرْ قول صاحبكم

حتّى يقول بنَفْيِ الشكّ هذا هو

فالميم يفتح أعلاه وأسفله

والعين بفتح أقصاه وأدناه

***

***

من رامه بالعقل مسترشدا

أسرحَهُ في حيرة تلهو

قد شاب بالتلبيس أسرارهُ

يقول في حيرته هَلْ هو

***

***

لستُ بالتوحيدِ ألهو

غير أنّي عنه أسْهو

كيف أسهو كيف ألهو

وصحيح أنّني هو

***

***

يا سرّ سرّي تدقّ حتّى

تُخفي على وهم كل حّيِ

وظاهرا باطناً تجلّى

في كلّ شيء لكل شيء

لئن اعتذاري إليك جهلٌ

وعُظْم شكّي وفرط عيّ

يا جملة الكلّ لسْتَ غيري

فما اعتذاري إذاً إليّ

***

***

اسمٌ مع الخلق قد تاهوا به ولَهاً

ليعلموا منه معنىً من معانيه

والله لا يصلوا منه إلى سببٍ

حتّى يكون الذي أبداه يبديه

***

***

و أيّ أرض تخلو منك حتّى

تعالوا يطلبونك في السماء

تراهم ينظرون إليك جهراً

وهم لا يبصرون من العماء

***

إلى كم أنت في بحر الخطايا

تبارز من يراك و لا تراه

وسمتُك سمت ذي ورعٍ تقي

و فعْلك فعل متّبع هواه

فيا من بات يخلو بالمعاصي

وعين الله شاهدة تراه

أتطمع أن تنال العفو ممّا

عصمتَ و أنت لم تطلب رضاه

فَتُبْ قبل الممات وقبل يوم

يلاقي العبد ما كسبت يداه

أتفرح بالذنوب والخطايا

و تنساه و لا أحد سواه

***

كانت لقلبي أهواءٌ مفرّقة

فاستجمعَتْ مُذْ راءَتْك العين أهوائي

فصار يحسدني من كنت احسده

وصرتُ مولى الورى مُذْ صرتَ مولائي

ما لامني فيك أحبابي و أعدائي

إلّا لغفلتهم عن عظم بلوائي

تركتُ للناس دنياهم و دينهم

شغلاً بحبّك يا ديني و دنيائي

أشعلتَ في كبدي نارين واحدة

بين الضلوع و أخرى بين أحشائي

***

إذا دهمَتْك خيول البعاد

ونادى الاياس بقطع الرجا

فخُذْ في شمالك ترس الخضوع

و شُدّ اليمين بسيف البكا

و نَفْسَك نَفْسَك كُنْ خائفاً

على حذر من كمين الجفا

فإن جاء الهجر في ظلمة

فسِرْ في مشاعل نور لصفا

فقُلْ للحبيب ترى ذلتي

فجُدْ لي بعفوك قبل اللقا

فَوَ الحُبِّ لا تنثنِي راجعاً

عن الحِبِّ إلّا بعَوْضِ المنا